

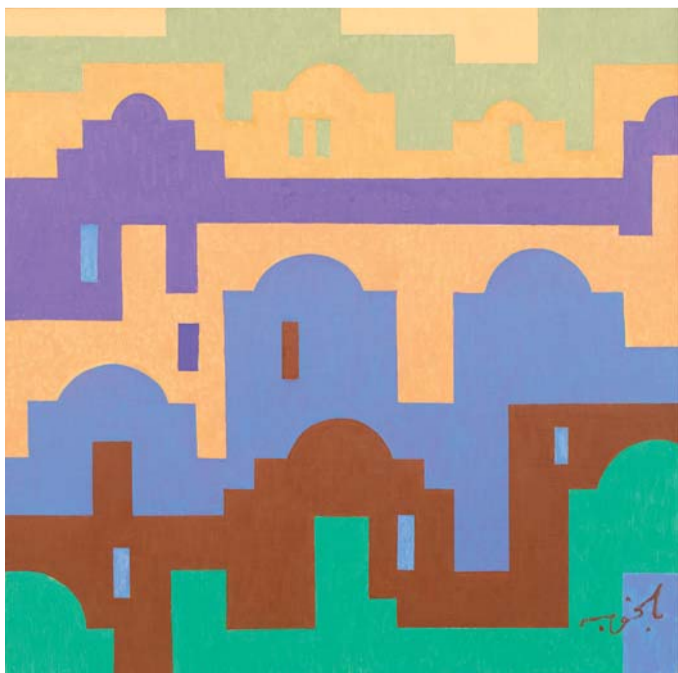
## البحث عن مدينة بلا أبواب

المعلوماتية والتوزيع الحضري عن بعد المفاجئ". ومن الطريف أن ميشال فوكو الذي يعتبر واحدا من كبار مهندسي الفكر الأركيولوجي والجينيولوجي في الفكر الأوروبي/ الغربي المعاصر قد اقتفى أثر مفاهيم بول فيريلو، حيث قام بالكشف عن أنماط من الاستعمار التي لاحظ فيريلو انتشارها في فضاءات المجتمعات الأوروبية/ الغربية على نحو خاص منها نمط الاستعمار الداخلي المحايث والاستعمار الخارجي. بالنسبة إلى ميشال فوكو فإن الاستعمار الداخلي هو شبكة من ممارسات الهيمنة، والسيطرة التي تنتجها، ثم تغلغها، ثقافة معينة أو طبقة اجتماعية ما في مجتمع معين على نحو ذاتي وتنتمي إلى الإطار الجغرافي الوطني كما حدث، مثلا، عندما قامت السلطات في فرنسا باستعمار تسميات وأجساد قطاع من المواطنين الفرنسيين بحجة أنهم موصومون بأنهم مجانين أو مجنومون أو أنهم يعانون من تعقيدات نفسية.

وهذا ما حصل على سبيل المثال للغة البشرية المدعوة في الأدبيات السياسية والاجتماعية الفرنسية بالأقدام السوداء الذين مَيَّرُوا إثنا واجتماعيا، وجزءا ذلك تم إرسالهم إلى الجزائر. ولهذا السبب تميَّز النقد الفلسفي والثقافي عند فوكو بتريسيه معادلة يتبادل فيها الفضاء العلاقة المولدة للمعرفة والقوة في أن واحد. وهكذا نجد فوكو يتحدث بإسهاب عن العنف الذي يمارسه المعمار في تشكيل هذا النمط أو ذاك الذوات وفق النسق الذي يفرضه مجتمع ما أو جراء النظام السياسي وقوانين العزل والإقصاء التي تركز دراما الإنسان داخل الفضاء السالب للشرط الإنساني مثل السجن، والمنافي والمعقلات.

## تحليل بنيات المجتمع على أساس جغرافي مكاني قد تطور على أيدي الدارسين والمعماريين والمفكرين ونقاد الثقافة

لاشك أن تحليل وتشخيص الأثر المتبادل بين المكان وعناصره المعمارية في أعمال مفكرين آخرين أمثال بيير بورديو، ستكشف أن أشكال العنف الرمزي والمادي ينتجها الموقع الطبقي أو الاجتماعي أو السياسي أو الإثني، وتغسف الذكورة أيضا، وعلى هذا الأساس فإن الفضاء ليس مجرد تضاريس العالم النفسي والمادي معا. وهكذا يمكن القول، مثلا، بأن فكر مفكر كابلن خلدون، أو فكر فيلسوف وضعي منطقي معاصر كزكي نجيب محمود يمكن أن يتحوَّل دون أدنى شك إلى ورشة عمل خصب لاستخراج علاقة التأثير التي تتأسس بين الإنسان، والسرديات التي تبني هويته في تراثنا الاجتماعي، وبين فضاءه الجغرافي وفي المقدمة معمار الفضاء الذي ينتج علاقة القرابة التي تنتج عنها ثقافة العصبية عند الأول، وثقافة السماء والأرض المتوازنة في التكوين الداخلي للشخصية العربية الإسلامية كما في فكر نجيب محمود.



المدن تبني الذوات وتمزقها (لوحة للفنان نجيب بالخوجة)

أزرع عمر  
كاتب جزائري

من المميَّزات الملفتة للنظر للدراسات الثقافية الجهوية والحضرية، التي تشهد ازدهارا منذ مدة في الجامعات الأوروبية والأمريكية، أنها تركز تركيزا قويا على الدور المحوري الذي يلعبه المكان أو المنطقة في صياغة الهويات الثقافية وأنماط الشخصية، وفي توليد شبكات من العلاقات الاجتماعية التي تفضي إلى ردود فعل سياسية.

وفي الواقع فإن هذا التخصص المدعوة بدراسات الهوية والحضرية لم ينطلق من الفراغ وإنما له مرجعيات وأصول تعود إلى ما يسمى بتقليد الدراسات الجغرافية، سواء في مجال توزيع السكان أو في تحديد تقاليد وأعراف معينة أو في الكشف عن تجربة ثقافية مهيمنة أو ثانوية.

إلى جانب ما تقدم هناك، دون أدنى شك، التأثير الحاسم للدراسات التي مارسها ونظر لها المؤرخ الفرنسي المدعو بمؤرخ مدرسة الحوليات وهو فرنان بروديل، وخاصة في أعماله التي رصد فيها خصائص شخصية فرنسا عبر التاريخ، وهي التجربة الفكرية التي نسج على منوالها كثير من الدارسين في العالم بما في ذلك المفكر المصري جمال حمدان الذي رصد في مؤلفاته المكتنزة، وعلى نحو خاص، في كتابه المكرس لتحليل وإبراز مكونات شخصية مصر الحضارية والتاريخية من منظور جغرافي.

ويلاحظ أيضا أن الدراسات الثقافية المعاصرة التي تأسست في بريطانيا بمركز برمنغهام الجامعي قد انخرطت بدورها في الاهتمام بدراسة التوزيع الطبقي لطبقات المجتمع البريطاني، مع التركيز على الجغرافية الأيديولوجية والثقافية لكل من الطبقة العمالية والطبقة البرجوازية، ولقد تطوَّر النقاش حول هذا التشكيل الطبقي الاجتماعي المعقد إلى نقاش مفر حول تأثير المكان على عدد من الظواهر بما في ذلك ظاهرة التمييز الإثني والعنصرية المتنوع في لندن وعبر المدن البريطانية الكبرى وعلاقة كل ذلك بتمايز الهويات وصراعاها أحيانا.

والحال فإن هذا التوجه في تحليل بنيات المجتمع على أساس جغوي جغرافي/ مكاني قد تطور على أيدي الدارسين والمعماريين والمفكرين ونقاد الثقافة الكثيرين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص، ليشمل مختلف أوجه الحياة، فهذا المفكر الفرنسي البارز بول فيريلو قد كرس عددا من مؤلفاته منها كتابه المعروف والمؤثر وهو "البعد الضائع"، لمناقشة مشكلات المعمار الحضري المعاصر التي أصبحت تقلق الناس وتحزيرهم حيث السكان لا يقدرون على معرفة أين "تبدأ المدينة التي ليس لها أبواب" مثل نوي الانتعاشات المختلفة إلى أنماط الثقافات والديانات والأجناس. وقد أطلق فيريلو وصفا دقيقا لمثل هذه المدن بأنها تنتج الإحساس بالواقع المفرط لدى الناس، ثم لاحظ كذلك أنه "إلى جانب تغير البشر بسبب ترويض النار والمياه والرياح، وإلى جانب تبدل البيئة الطبيعية التي تثيرها أنواع جديدة من مصادر الطاقة فإننا نستطيع أن نضيف الآن تأثير الأنواع الجديدة من

## النسوية لها وجوه أخرى متشددة ولا أخلاقية

الأديبة السعودية حليلة مظفر: الفنون ليست ترفيها ولا رفاهية، إنها علم تجربتها.



المرأة يجب أن تتجاوز الصور النمطية (لوحة للفنانة نور بهجت)

في ما كتبه، وصدق شديد أجد القيادة بفكر متقدم وحريصة على تحقيق حرية الرأي". وتضيف في الشأن نفسه "على مستوى الرأي" فما تعيشه الصحافة المحلية اليوم من ضعف هو ليس نتيجة غياب حرية التعبير كما يزعم بعضهم، إنما نتيجة ما تواجهه من قلة الموارد المالية التي تعانيها الصحف، الأمر الذي أنتج ضعفا مهينا للصحافيين المهنيين وغياب الكثير من أسماء الكتاب الكبار عن زواياهم نتيجة عدم دفع الصحف رواتب لهم".

وترى كاتبتنا أن السعوديين واستجاباتهم لأنها قرارات تمس جودة حياتهم واحتياجاتهم؛ وكانوا المتباكون على الصعوبة فهم قلة، وكانوا يستفيدون من وجودها لمصالحهم الشخصية، والقانون اليوم يقف لتجاوزاتهم بالمرصاد".

وإثر سؤال ختامي عن الجدل الحاصل حاليا حول النسوية بعد أن تم الإعلان عن خبير تجرّمها فكفر متطرف في إحدى الصحف ثم نفى هذا الخبر من قبل الجهة التي نسب إليها وتأكيد حقوق الإنسان على أن النسوية غير مجرّمة في السعودية، تجيب مظفر "أحيانا أضحك وأبتسم من هذا الجدل الذي تنصره بعض الأسماء النخبوية؛ فكل منها يغني فيه على ليلاه، وقلة تتحدث بمنهجية ومعرفة؛ وهذا يرجعنا إلى السؤال السابق حول صراع الحدائي والصحوي وصراع الليبرالي والمثددين. والآن خرج لنا صراع النسوي وغير النسوي وهما من معرفة النسوية براء؛ بينما الخلاف يعود إلى عدم تاصيل المصطلح والتدقيق في ماهيته، فالنسوية في أبسط معانيها تشكلت لتحقيق مطالب تخص حقوق المرأة في المجتمعات الغربية، وهو فكر يتغنى بحسب ثقافة المجتمعات واتجاهات الأفراد والنظريات الفلسفية والاجتماعية والاتجاهات السياسية؛ لهذا تجدنا متعددة المشارب فهناك نسوية اشتراكية ونسوية ليبرالية ونسوية راديكالية ونسوية يهودية ونسوية مسيحية، إلى آخر ذلك".

وتضيف مختمة "كنت كتبت مرة عن النسوية الداعشية لدى داعش في تجنيد نسائه وبرمجتهن، والوجه الآخر لها النسوية اللاأخلاقية التي ليس لديها رادع، وحمقا لا يمكن اعتبار ما ينتج عنهما فكريا، بل جرائم يعاقب عليها القانون بحسب كل دولة ومجتمع".

وتضيف مختمة "كنت كتبت مرة عن النسوية الداعشية لدى داعش في تجنيد نسائه وبرمجتهن، والوجه الآخر لها النسوية اللاأخلاقية التي ليس لديها رادع، وحمقا لا يمكن اعتبار ما ينتج عنهما فكريا، بل جرائم يعاقب عليها القانون بحسب كل دولة ومجتمع".

تناولت الأديبة والإعلامية والمستشارة السعودية حليلة مظفر بكتبها ومقالاتها العديد من القضايا المحلية والعربية التي تخص الشأن الثقافي والفني والمسرحي، حيث فككت الأسس، ووقفت على المشاكل، وحللت الكثير من الملفات، الأمر الذي جعل منها أيقونة من أيقونات الثقافة السعودية الثائرة على التيار الصحوي المتطرف. في هذا الحوار تتوقف "العرب" مع مظفر في إطلالة على أهم أركان تجربتها.

زكي الصدير  
كاتب سعودي

تبدى الكاتبة السعودية حليلة مظفر سعادتها بما تعيشه السعودية من تحول مهم وملحوظ على مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية خاصة في الشأن الثقافي والاهتمام بالفنون التي ظلت العلاقة بها متوترة لسنوات نتيجة ما تعرضت له من تشويه من قبل فكر متشدد متطرف له مصالح حزبية تعارض مع مصلحة الوطن.

تقول مظفر "منذ انطلاق رؤية 2030 نعيش مرحلة تطوير في بناء المستقبل الثقافي، خاصة وأن وزير الثقافة يعمل بكل جدية في هذا الملف الشائك والمعقد لأجل تأسيس أرضية ثقافية صلبة للوزارة من خلال ما تشهده من مبادرات وقرارات".

## ما بين الأجيال

تلقت الكاتبة إلى أن الفنون ليست ترفيها ولا رفاهية، إنها علم، وينبغي أن تتخذ مكانها ضمن العلوم الأخرى، والمجتمعات الإنسانية حين تتعامل مع المسرح والموسيقى والفنون كما تتعامل مع الفيزياء والطب والكيمياء تنهض بحضارة عريقة وقوية ومتينة؛ كونها عجلة للتطور الإنساني والتوازن النفسي وسفيرا حيويا في نقل هوية المجتمع وتعزيز ثقافته الأصلية الصامدة أن اعتمادها كمورد من موارد الاقتصاد الوطني سيفتح لها بابا للاستثمار، وخلق فرص عمل جديدة للشباب. وتضيف "كل ما أتمناه فعلا من المسؤولين في وزارة الثقافة، في ظل هذا الجهد الكبير الذي تبذره، أن يتم وضع الأشخاص المناسبين في أماكنهم المناسبة كي نتجح في مشاريعها ومبادراتها القادمة، وأن تستثمر في ما لدينا سابقا دون تهميشه؛ إذ لدينا تراثنا الثقافي واسماء كبيرة ومهمة في الأدب والمسرح والموسيقى والنقد بنت نفسها بجهدنا الفردي دون دعم مؤسساتي سابق، وهي أجيال متفانية وعلى وزارة الثقافة ألا تتكفي فقط بتكريمها في المناسبات فحسب، بل تستثمر فيها كما تستثمر في الشباب تماما لأنهم سيختصرون الطريق بدلا من البدء من جديد".



حليلة مظفر

المجتمع السعودي مجتمع ينهض على ثقافة أصيلة ومتمطلع إلى حياة معاصرة ومتطورة ومنفتحة

تضع حليلة مظفر نفسها مع الجيل الثقافي الوسط، بين السابق والجديد، لهذا نجدنا متحمزة للجيل الشاب، وفي الوقت ذاته وفيه للجيل السابق.